اي أخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفا بافضل الاولاد وهم البنون ولم يجعل فيهم
نصيبا لنفسه **واتخذ من الملئكة اناثا** اي بنات لنفسه وهذا خلاف ما عليه
معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يستاثرون باجود الاشيا واصفاها من
الشوب ويكون ارداها ودونها للسادات **انكم لتقولون قولا عظيما** باضافة
الاولاد اليه لان اثبات الولد يقتضي كونه تعالى مركبا من الاجزا والابعاض وذلك
يقدح في كونه قديما واجب الوجود لذاته وايضا فبتقدير ثبوت الولد فقد جعلوا
اشرف القسمين لانفسهم واخس القسمين لله تعالى وهذا جهل عظيم وايضا
جعلوا الملئكة الذين من اشرف خلق الله الذين منهم من يقدر على حمل الارض
وقلب اسفلها اعلاها اناثا في غاية الرخاوة ولما كان في هذا من البيان ما لا
يخفى على انسان وثم رجعوا اشارة الى انه لم يمثل لهذا الاعراض عن امثال هذا
البيان فقال تعالى **ولقد صرفنا** اي بينا بيانا عظيما بانواع طرق البيان
من العبر والحكم والامثال والاحكام والاعلام في قوالب الوعد والوعيد
والامر والنهي والمحكم والمتشابه الى غير ذلك **في هذا القران** اي في مواضع
منه من الامثال كما قال تعالى ولقد صرفنا للناس في هذا القران قيل لفظة في
زائدة كما في قوله تعالى واصلح لي في ذريتي ورد بان في لا تزاد وما ذكرنا اول كما ياتي
ان شاء الله تعالى في الاحقاف والتصريف لغة صرف الشي من جهة الى اخرى ثم صار
كناية عن التبيين قاله ابو حيان وقوله تعالى **ليذكروا** متعلق بصرفنا وقرا حمزة
والكسائي بسكون الذال ورفع الكاف من غير تشديد من الذكر الذي هو بمعنى
التذكر والباقون بفتح الذال والكاف مع تشديدهما **وما يزيدهم** اي التصريف
الا نفورا اي تباعدا عن الحق وقلة طمانينة اليه وعن سفيان كان اذا قراها
قال زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
قل اي لهولا المشركين ولا تياس من رجوع بعضهم **لو كان معه الهة كما يقولون**
من هذه الاقوال التي لو قالها اعظمكم في حق ادناكم وهو بريدها حقيقتها لصار ضحكة
للعباد **اذا لابتغوا** اي طلبوا طلبا عظيما **الى ذي العرش** اي صاحب العرش
الاعظم المحيط الذي من ناله كان منفردا بالتدبير **سبيلا** اي طريقا سالكا
يتوصلون به اليه ليقهروه ويزيل ملكه كما يرون فعل ملوك الدنيا بعضهم مع بعض
او ليتخذوا عنده يدا يقربهم اليه وقرا ابن كثير وحفص بالياء على الغيبة والباقون
بالتاء على الخطاب وادغم ابو عمرو الشين من العرش في السين بخلاف عنه ثم نزه
سبحانه وتعالى نفسه فقال عز من قائل **سبحانه** اي تنزه التنزه الاعظم
عن كل شائبة نقص **وتعالى** اي علا اعلا العلو بصفات الكمال **عما يقولون**
اي من هذه النقايص التي لا يرضاها لنفسه احد من عقلاء خلقه **علوا** اي
تعاليا **كبيرا** اي متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه تعالى في اعلا مراتب الوجود
وهو كونه واجب الوجود والبقا لذاته نبيه جعل العلو مصدر التعالي ومصدره

تعاليا

تعاليا كما قدرته فهو المراد ونظيره قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا فان قيل ما
الفايدة في وصف ذلك العلو بالكبير اجيب بان المنافاة بين ذاته وصفاته
سبحانه وبين ثبوت الصاحبة والولد والشركا والاضداد والانداد منافات بلغت
في القوة والكمال الى حيث لا تقبل الزيادة عليها لان المنافات بين الواجب لذاته
والممكن لذاته وبين القديم والمحدث وبين الغني والمحتاج منافات لا تقبل الزيادة
عليها فلهذا السبب وصف الله تعالى ذلك العلو بالكبير وقرا حمزة والكسائي
بالتا على الخطاب والباقون باليا على الغيبة ثم استانف تعالى بيان عظمة هذا
التنزيه الاعظم **له** اي الاله الاعظم الذي تقدم وصفه بالجلال والاكرام
خاصة **السموات السبع** اي السبع **والارض ومن فيهن** من ذوي العقول **وان**
اي وما واغرق في النفي فقال **من شي** اي ذي عقل او غيره **الا يسبح بحمده** اي
يقول سبحان الله العظيم وبحمده او يقول سبحان الله وبحمده وقال ابن عباس وان من
شي حي الا يسبح بحمده وقال قتادة يعني الحيوانات والناميات وقال عكرمة
الشجرة تسبح والاسطوانة تسبح وعن المقداد بن عدي التراب يسبح ما
لم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح والورقة تسبح ما دامت على الشجرة فاذا
سقطت تركت التسبيح والما يسبح ما دام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح
والثوب يسبح ما دام جديدا فاذا وسخ ترك التسبيح وقال السيوطي في
جواب سوال عن ذلك

قد خصصت اية الاسرا بمنصف • وصف الحياة كرطب الزرع والشجر
فيابس مات لا تسبيح منه كذا • ما زال عن موضع كالقطع للحجر

وقال ابراهيم النخعي وان من شي جماد وحي الا يسبح بحمده حتى صرير الباب
ونقيض السقف وقال مجاهد كل الاشيا تسبح لله حيوانا كان او جمادا
وتسبيحها سبحان الله وبحمده يدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود كنا
نعد الايات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر فقل الما فقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا فضلة من ما فجاوا بانا
فيه ما قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم في الانا ثم قال حي على الطهور
المبارك والبركة من الله فلقد رايت الما ينبع من بين اصابعه صلى الله عليه
وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وعن جابر بن سمرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بمكة حجرا كان يسلم على ليالي بعثت
اني لا عرفه الان وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب الى الجذع
فلما اتخذ له المنبر تحول اليه فحن الجذع فاتاه فمسح يده عليه وفي رواية
فنزل فاحتضنه وساره بشي ففي هذه الاحاديث دليل على ان الجماد
يتكلم وانه يسبح وقال بعض اهل المعاني تسبيح السموات والارض والجماد
والحيوانات سوى العقلا بلسان الحال حيث تدل على الصانع وقدرته

تسبح
منفردا بالوصف بالكمال فقال
اي تنزيه

Copyri... King Saud University